مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد 02 (2021 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/806

صورة الجهاد في ذاكرة امرأة من رحم معاناة الثورة " شهادات حية لمجاهدات المنطقة "

أ: رحيمة بيشي

جامعة غرداية

الملخص:

كان للمرأة الحظ الوافر في مشاركتها رفقة إخوانها الرجال في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري، فقد ضحت بالنفس والنفيس، وعملت مسبلة في سبيل قضيتها الأم، ألا وهي تحرير أرضها من المحتل الغاصب، فكانت تتبرع بالحلي والذهب لتموين الثورة، وتقوم بجمع التبرعات والاشتراكات الشهرية، وتطهو الطعام، وتخيط الملابس، وتُحضّر مؤونة المجاهدين، كما ساهمت في إعداد مخابئ خاصة للمؤن كانت تنقل إليها الأغذية والألبسة.

من هذا المنطلق جاءت ورقتي البحثية حول نماذج مختلفة لمجاهدات المنطقة، اللواتي أبلين بلاء حسنا في مهامهن المسندة إليهن، وكن خير مثال على التضحيات الجسيمة التي قدمتها المرأة الصحراوية في سبيل الله والوطن.

Abstract:

The woman had the great luck of participating with her fellow men in the liberation revolution in southern Algeria, she sacrificed herself and precious, and worked as a way to make her case, It was to liberate its land from the usurped occupier, donating ornaments and gold to supply the revolution, collecting donations and monthly contributions, cooking food, sewing clothes, preparing mujahideen supplies, and contributing to the preparation of special shelters for supplies to which food and clothing were transported.

From this point of view came my research paper on different models of the region's mujahedeen, who did well in their tasks assigned to them, and were the best example of the enormous sacrifices made by Saharan women for the sake of God and the nation.

تقديم:

تزخر منطقة غرداية بماض عريق يُشرفها أمام مختلف الشعوب على مّر الدهور والعصور، ويجعلها في مقدمة المناطق النضالية المكافحة في سبيل رفع راية " الجزائر حرة مستقلة "، كيف لا وقد كانت أرض هذه المنطقة مضمارًا خصبًا لرجال ونساء أفذاذ ضحوا بالغالي والنفيس جهادا ضدّ المستعمر الذميم، ليُتوج ذلك بنعمة ربانية ولدت بعد وهنٍ وكدٍ كبير، نعم إنها الحرية وما أدراك ما الحرية! الأمنية الغالية على قلوب أجدادنا التي لطالما ناضلوا لأجلها حتى آخر قطرة دم نزفت من أجسادهم الطاهرة لننعم بفراشها ورحاب جنانها والحمد لله، لهذا كان من الواجب استحضار بعض ممّا عايشوه كمحاولة منا لربط حاضرنا بماضينا ، واستشرافا لمستقبلنا، حفاظا على حُريتنا من باب أن للمنطقة ألسنة حق حية وهو ما يُجسده جليًا أدب الرواية الشفوية المستقاة من أفواه مجاهدينا الأبطال أدام الله عزهم وعافيتهم، وكالمعهود فإن مزيَّة الجهاد لم تكن حكرا على الرجل فقط بل تعدى الأمر ذلك لأن المرأة وضعت يدها فوق يد الرجل نزالا في سبيل الوطن، لذلك أعتقد أن الوقت قد أزف لكي نبحر قليلا في بحار مجاهدات المنطقة اللائي سيخلدن حتما أسمائهن ومواقفهن العظيمة بحروف من نار على صفحات التاريخ الوطني، والله إن القلب ليرتجف أمام الكتابة عن هؤلاء العظيمات ، فنحن الآن على موعد مع نساء هن أمهات رحيمات وبطلات جليلات لجيل يسعى لتخليد سيرهن ، وهو ما تسلط عليه الضوء هذه الورقة البحثية بُغية سدل الستار عن شخصيات أُغفلت رغم مساهمتها الثورية والنضالية، سعيا وراء الإجابة عن الإشكاليات التالية:

*** من هن أهم مجاهدات المنطقة الجسورات؟

*** ما هو الدور الذي أدته هؤلاء النسوة؟ ولماذا يُعتبر دورهن أهم ألف مرة من دور الآباء في صناعة الرجال؟

أولاً- نماذج حية لمجاهدات خلدت أسماؤهن في سجل الثورة

عملت نساء المنطقة المجاهدات إبان الثورة الجزائرية الكبرى في الميدان المسلح ، فلعبن دورا لا يقل أهمية عن دور الرجل ، بل وتحملت الصعاب أكثر منه تلبية لنداء الجهاد في سبيل الله والوطن لتحقق بصلابتها حاجزا منيعا ضدّ التعسف الاستعماري من خلال تأديتها لمجموعة من المهام اقتضت عليها درجات مختلفة من الخطورة والالتزام، ممّا يوضح لنا أن المرأة في هذه الأصقاع من الأرض كانت بمثابة المنارة والشعلة التي يستند عليها المجاهدون الأبطال المرابطون في الجبال غالبًا، فعملت كطاهية طعام وكغسالة للملابس وكخياطة للثياب وكمخبئة للمجاهدين ومعدة لأصناف الأماكن التي احتوت المجاهدين وكانت المعين الأول لحمايتهم....وغيرها من المهام التي أوكلت لها فشرفت بها وطنها وتشرفت بها ، وهو ما تبينه الشهادات والروايات الشفوية الشيقة القريبة لقلب كل غيور عن وطنه و المستسقاة من أفواه مجاهداتنا الشجاعات والمقدامات.

تروي المجاهدة العفيفة " مباركة بوعرعارة "[1] صبغة جهادها ونشاطاتها التي قامت بها منذ بداية الثورة إلى غاية الاستقلال في سبيل تحرير المنطقة خاصة و الجزائر عامة من كيد المستعمر المغتصب فيما نصه:" ....لقد كنت مركزية في الجيش وغالبا ما كنت أقوم بالطبخ وطهو الطعام للمجاهدين و نقل المؤونة لهم ...الخ، لهذا سجنت لمدة ثلاثة أيام في غرداية وذلك في سنة 1960 م...".

[1]- المجاهدة مباركة بوعرعارة: من مواليد سنة 1934م، اسم والدها محمد، أما والدتها فتدعى: شيبوط عائشة، حالتها العائلية: متزوجة، وقد أنجبت ثمانية أولاد، عنوانها الحالي: حي بن سمارة بولاية ورقلة، وكانت قد التحقت بالثورة سنة 1959م، بصفة مسبلة، ومنحت اعترافا وطنيا لمجهوداتها كان رقمه 403577، كما كرمت بوسام كان رقمه: 80630. ينظر المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: تسجيل الشهادات الحية لمجاهدي ولاية غرداية، من إعداد الفرقة التقنية لملحقة المتحف الوطني للمجاهد، حصيلة الشهادات(2003-2008م).

وعن تلك الفترة العصيبة تضيف المجاهدة "غريقة فاطنة"[2] في معنى حديثها أن عرب المنطقة قبل اندلاع الثورة سنة 1954م كانوا شبه رحل يرتحلون من منطقة لأخرى بأزواجهم وأموالهم وأرزاقهم ...الخ، ومع اندلاع الثورة لم تلبث الأخيرة إلاّ أن انخرطت في صفوفها كمسبلة للناحية الثالثة فناضلت بما تقدر عليه ماديا ومعنويا وهو ما يبرهنه قولها فيما نصه: " ...لقد عملنا أثناء الثورة على احتواء المجاهدين (الأحباب) اللّذين كانوا يأتوننا باللّيل فنقوم بإطعامهم وتخبئتهم وتقديم يد المساعدة لهم في كل ما لزمهم لدرجة أننا كنا نفضلهم عن أولادنا....ولما كان يهجم علينا العسكر الفرنسيون بحثا عن المجاهدين كنا ننكر رؤيتهم ونؤمن على سرهم ....ومن بين المجاهدين اللّذين احتويتهم أذكر: (محمد بوحفص مذبوحي، أحمد شلاوة، عطاش، محمد بن قويدر)...".

لعبت المرأة الغرداوية والمتليلية أدوارا بارزة لا تختلف عن الأدوار والنشاطات التي لعبتها المرأة الجزائرية في باقي الولايات الأخرى على اعتبار أن العدو واحد والهدف واحد وهو ما يبرر الدور والنشاط العسكري والاجتماعي الذي كانت تقوم به المجاهدة في ذمة الله والوطن " فاطمة الزهراء مداني"[3] التي تروي أعجوبة جهادها ومقاومتها فيما معناه أنها في بداية نشاطها كلفت بجمع الاشتراكات والتبرعات مع المجاهدين أحمد مهاية والحاج بن الزغيدي وآخرين،

---

[2]- المجاهدة غريقة فاطنة: من مواليد سنة 1932م بغرداية، والدها يدعى محمد، التحقت بالعمل الثوري سنة 1959م، بصفة مسبلة في صفوف الثورة في الناحية الثالثة. ينظر ، نفسه.

[3]- المجاهدة فاطمة الزهراء مداني: من مواليد 14 جويلية 1933م بغرداية اسم والدها عيسى، أما والدتها فتدعى تبتي فاطنة، حالتها العائلية أرملة، وعدد أولادها ستة، أما عنوانها الحالي فهو حي قدماء المجاهدين بغارداية، وكانت مهنتها قبل التحاقها بالثورة عاملة بخياطة النسيج، أما تاريخ التحاقها بالعمل الثوري فكان سنة 1957م، بصفة مقاومة في صفوف الثورة، ومنحت اعترافا وطنيا لمجهوداتها كان رقمه: 056/00/47، كما كرمت بوسام كان رقمه: 44045. ينظر المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.

كانت تحت قيادة المجاهد محمد مولاي إبراهيم المدعو بالسياسي، فكان مترلها عبارة عن مركز له، وبعد فترة وجيزة أسندت إليها مهمة "فدائية" رفقة أختها و زوجها أحمد بن الشيخ كمجند في الصفوف الذي كان يزودها بالمعلومات وتحركات العدو والذخيرة والألبسة، حيث تقول: "... ساعدت في الكشف عن مؤامرة القبض على شقيقي مولاي الهاشمي مداني، وكنت أول امرأة رفعت العلم الجزائري في غارداية سنة 1960م..."، وما يعزز بسالتها وقوة شخصيتها المكافحة هو المعارك ومجموعة الاشتباكات الضارية التي شاركت فيها بروح ملأها الحقد ضدّ المغتصب ومنها: عملية قتل العميل أحمد الخرطي في 1957م ،ومشاركتها في مظاهرات 1961م..إلخ.

لم تكن تلك خلاصة المقاومة المحلية بل إن الثورة والروح الجهادية غالبا ما كان يشتد فتيلها ، وهو ما ترويه لنا المجاهدة الفذة " مسعودة كبار"[4]، من خلال كفاحها ونصرة إخوانها المجاهدون، حيث تروي الأخيرة أنها كانت تقوم بجمع المؤونة وتحضيرها لإرسالها إلى المجاهدين المرابطين في الجبال، وأنها كانت على اتصال بالمجاهدين وخاصة (المجاهد علي طرباقو، قادة دهان وبن النذير لخضر) ، وما يعمق شدة المعاناة التي تعرضت لها مجاهداتنا آنذاك هي الجراح التي مُنيت بها هذه البطلة لما كانت تثابر وتجتهد لرفع راية الجهاد والاستقلال ومنها : (إصابتها على مستوى الركبة اليمنى، وعلى مستوى الرأس من جهة اليمنى واليسرى، إضافة لإصابتها على مستوى اليد اليسرى)، بل تعدى الأمر ذلك لتُسجن بسجن متليلي الشعانبة لمدة ستة أيام.

[4]– المجاهدة مسعودة كبار: من مواليد 15 مارس 1944م بمتليلي الشعانبة، والدها قدور ووالدتها حدة بحيصة، الحالة العائلية متزوجة، وهي أم لعشرة أبناء، عنوانها الحالي: حي مرماد غرداية، أما عن تاريخ الالتحاق بالعمل الثوري فكان سنة 1957م، بصفتها مسبلة في صفوف الثورة. ينظر المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.

ثانيًا- شهادات حية لمجاهدات عائلتي الموقرة:

1/المجاهدة –دهان مباركة[5]، والدة الشهيد بيشي أحمد[6]

كانت جدتي مباركة دهان مكلفة رفقة عمي محمد بيشي بخياطة ملابس المجاهدين ، حيث قاما بشراء ماكنة خياطة و كانوا يخيطون بها الجلابيب والبرانس والأحذية، كما كانت مكلفة بجمع التبرعات والاشتراكات، وكانت تحضر كل ما يلزم المجاهدين من مأكولات: كالرفيس[7]، والمردود[8] والروينة[9] ولحم القديد[10]...إلخ

---

[5]- دهان مباركة: ابنة جلول وساسية الدارم ولدت خلال سنة 1912، وتوفيت في 12/10/ 1994م، كانت امرأة زعيمة يخشاها حتى الرجال لقوة شخصيتها وحنكتها، كانت تمارس مهنة القابلة وتغسيل الموتى والتكفل بالأيتام والعائلات المعوزة.

[6]- الشهيد بيشي أحمد بن موسى: ولد خلال سنة1932 بمتليلي الشعانبة، انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني بتاريخ 1957 بمتليلي، انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني منذ 1957 كمسبل وكلف بالاتصال وتوزيع المناشير والبريد، إلى ان اكتشف أمره، وألقي عليه القبض في زيارة له لصهره بواد ادغير حيث أخذ إلى معتقل بالجوار وعذب فيه مدة 15 يوما، ورغم التعذيب رفض الادلاء بأي معلومة ، ثم أمر بحفر قبره بنفسه ناحية منطقة لحوار بشبكة متليلي ، وتم تفجير جمجمته بمحتوى مسدس كامل ، وذلك في فيفري 1959 وقد دفن ثلاث مرات (مكان الإعدام – مقبرة القبيلة ثم مقبرة الشهداء) و لم يتغير منه شيء. ينظر عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 302. وينظر المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: بطاقة فنية حول الشهيد أحمد بيشي. وكذلك رواية شفوية لشقيقه عبد الله يوم 2000/02/06م

[7]- الرفيس أكلة شعبية محلية، في مدينة متليلي يسمونه الرفيس، وفي ناحية غرداية يسميه الزريزة، كان يصنع من تمر الغرس خصيصا والسمن العربي والكليلة (والتي هي أيضا تصنع من الحليب الطبيعي المجفف، الذي يطحن، ليتم استعماله)، وله ذوق رائع، ومنهم من يسميها بالعوين، والشيء الجميل أنها لا تتلف وتبقى مدة طويلة صالحة للأكل، وبحكم السمن المخلوط بها فإنها تسد الجوع وتبقي متناولها شبعانا لمدة طويلة، لذلك فإن كل أهل المنطقة لا يستغنون عن هذه الوجبة.

[8]- المردود: أكلة شعبية محلية، هو عبارة عن حبيبات خشنة تصنع من السميد والماء، عن طريف الفتل باليد، لتتشكل حبيبات رقيقة من الطعام، والتي يتم تكبيرها رويدا رويدا، بذر السميد عليها وبعض الماء، وتحريكهـــا بين الأصابع، ثم غربلتها مرارا وهكذا دواليك، الى ان تصير مثل حبات اللبلاب.

[9]- الروينة: هي أكلة شعبية، تصنع من القمح المحمص والمطحون.

وكانت أيضا تقوم بإحضار الأسلحة ممثلة في المسدسات وكذلك البارود والرصاص من منطقة السوارق بمتليلي، وتضعه في علب حليب الأطفال، وتتسلق النخلة وتضعه في قلبها ، لأن القوات الفرنسية بالمنطقة كانت قد اكتشفت أنهم كانوا يخبئونه في الآبار ، مثلما كانوا يخبؤون المجاهدين أيضا، وكانت تبعث بكل ما جمعته من أسلحة وذخيرة ومؤن مع ابنها الشهيد أحمد الذي كان يعمل مسبلا، إلى أن اكتشف الفرنسيون تعاونه مع جنود جيش التحرير، و لم تتوانى عن عملها حتى بعد استشهاد ولدها[11]، وقامت ذات مرة رفقة والدي عبد الله بيشي بتخبئة المجاهد عمر بن ميلود بالأخضر مدة ثلاثة أشهر داخل المصرف"[12].

2/ المجاهدة خضرة الكيوص[13]زوجة الشهيد عمر بوطبة[14]:

---

[10] – لحم القديد: وهو اللحم الذي يتم ذر الملح عليه وتجفيفه، ثم يتم حفظه في قلل من الطين تدعى المطمورة.

[11]– الذي قالت فيه هذه المرثية التي تردد لحد الآن في أفراح مدينة متليلي، ينظر عبد الحليم: المرجع السابق ، ص228.

أنا ينصر قوم الشعانبة يا ويح اللي باع نيفه للروم
أنا جبتو عشرة من عبارو مدو ليه رصاص ريبو للواد
أنا في جبل كحيل حاصرين الملاقاة رجال الشنا تبان
شاف المجاهدين بن موسى الموت كائنة يا أرذال
أنا وتجملت قاع المحلية عشرين قران طاح يضحك فرحان
أنا دهانة سبقت النية قالت ولدي عند الرسول نلقاه
أنا والدنيا ماهيش لينا بانت خصايل يوم الضيق

[12] – المصرف: هو عبارة عن نفق يدخل عبره مياه الوادي لسقي الغابة، إبان المواسم الممطرة.

[13]– المجاهدة خضرة الكيوص: والدها يدعى سعيد، وأمها حدة مخلوف، ولدت خلال سنة 1934م، وتوفيت في 11/21 /2011م، وأنجبت ثلاثة أبناء من زوجها الشهيد، وأربعة من زوجها المجاهد بن قايد الشيخ.

[14]– الشهيد عمر بوطبة: بن حيدة ومغنية الحاج عمر، ولد خلال سنة 1935م بمتليلي الشعانبة، تعلم الفروسية، وكان ماهرا في الرماية، شارك في تدريب الطلائع الأولى وانضم للثورة كعضو في لجنة الفداء والتسليح رفقة مجموعة من المجندين في الجيش الفرنسي وهم: محمد بن عبد القادر خرنق–أحمد بن الشيخ

كانت جدتي لأمي خضرة الكيوص، زوجة لجدي الشهيد عمر بوطبة، وبحكم أن ثلاثة من أبناء هذه العائلة كانوا منخرطين في جيش التحرير، وكان والدهم حيدة بوطبه من أغنياء زمانه، فكان كثير الانفاق على رجال الثورة في المنطقة، و دعمهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فكان من البديهي أن تكون جدتي خضرة مكلفة كغيرها من نساء العائلة بالاعتناء بالمجاهدين ، وإطعامهم وغسل ملابسهم، وما جاء على لسانها أنها كانت تقوم بردم الملابس تحت الرمال ، حتى لا تظهر للأعيان مخافة الوشاية بهم، وقد كانوا من البدو الرحل ، حتى أنه عندما يشتاق لعائلته، كان يلطخ وجهه، كي لا يتعرفوا على هويته إذا جاء لزيارتهم في الصباح الباكر، وكانت أغلب زياراته في الليل، فقد كان يزورهم حوالي مرتين في السنة فقط، وذات مرة جاء ليلا رفقة إخوانه المجاهدين[15]، وكان قد بعث لزوجته مرسولا، بأن تحضر له أولاده حتى يقبلهم ويشم رائحتهم، لكنها نامت من شدة التعب وطول الانتظار، وعندما استفاقت ، هرعت إليه تحمل ولدها وابنتها، لكنها وجدته يجهز نفسه للخروج ، وكان غاضبا عليها بشدة لأنه بات ينتظر مجيئهم إليه بفارغ الصبر، فقال لها".. ضعي الأولاد ولا تقتربي، وإلا صوبت بندقيتي نحوك..".

لعمش–الشيخ بن حمودة، وبعد انكشاف الاتصالات التي كان يقوم بها مع أفراد جيش التحرير الوطني بناحية أفران ، انضم إلى كتيبة الشعانبة وانتقل معها إلى الولاية الخامسة في أكتوبر1957، حيث خاض بها العديد من المعارك كان آخرها معركة جبل لحمير، وكان قد اضطلع بمهمة حماية خط رجعة إخوانه المجاهدين عندما تم اكتشاف أمرهم في اجتماع بمنطقة البيض، وقد تمكن بفضل دقته في التصويب من إصابة طيار الطائرة وكذا الطائرة التي كانت تهاجمه، لكن بعد نفاذ ذخيرته الحربية، قام بتكسير السلاح الذي اعتبره شرفه ولا يتركه للعدو، فاستشهد وكان عمره حوالي45سنة ، وكان رحمه الله يلقب بقناص الشعانبة. ينظر عبد الحليم: المرجع السابق، ص151، وينظر كذلك المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: بطاقة فنية عن الشهيد عمر بوطبة، وينظر أيضا المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: مقابلة مع شقيقه الشيخ في بيته بحي شعبة سيدي الشيخ بمتليلي.

[15]– من بين ما روته جدتي خضرة: أن جدي كان يقوم بالتصفير لإخوانه إشارة على قدومه رفقة المجاهدين، ويبقوا تحت جبل قريب من القبيلة، حتى لا يكشف سرهم، ويتم تقديم واجب الضيافة لهم بعيدا عن أعين أهل القبيلة، حتى يتقون شر العملاء، وعندما لا يكونون من أهل المناطق القريبين وغير معروفين، يقدمهم الحاج حيدة على أنهم تجار وموّالون.

ورغم طول فترة غيابه، إلا أن القوات الفرنسية كانت دائمة البحث عنه، وفي كل مرة يفتشون فيها القبيلة كانوا يضربون جدتي خضرة ضربا مبرحا بأسلحتهم، ويركلونها بأرجلهم حتى تعترف لهم بأخبار زوجها عمر ، وعندما كانوا يهددون والده حيدة بوطبة، كان يقول لهم، أنه ليس بيده حيلة، وأن يأخذوا زوجته وأبناءه في مكانه إن أرادوا ، وأنه لا يعرف عنه شيء، حتى أن جدتي حملت بوالدتي ذهيبة وأنجبتها وبلغ عمرها ستة أشهر ، ولم يعرف أن زوجته كانت حبلى ورزق منها بمولودة، عانت جدتي الكثير لافتقادها زوجها الذي كان أحن الخلق عليها، فقد كان الزوج والصديق والأخ والأب، وكان كل شيء في حياتها، وطلبت منه ذات مرة أن يعدل عن هذه المهمة الشاقة، ولأنه كان ذا نخوة شديدة قال لها: "..لن أرض لبناتي مُزية وذهيبة وكل بنات الجزائر أن يعشن الذل والقهر تحت المستعمر الفرنسي، روحي فداء لهم.."، وتقول فيما مفاده ، أنهم كانوا يعيشون الرعب في كل لحظة نظرا للتجاوزات التي كانوا يلقونها من القوات الفرنسية، وكل حركة وكل صوت، يحسبونه العدو ، الذي جاء لمداهمتهم والتحقيق معهم بشأن المجاهد البطل عمر بوطبة.

3/ المجاهدة بوطبة عائشة[16]:

المجاهدة بوطبة عائشة بنت حيدة ومغنية الحاج عمر، المزدادة خلال 1936، زوجة المجاهد الحاج قدور زرقاط[17]، كانوا يقطنون في الصحراء ويتنقلون بين الحين والآخر من البداوة إلى المدينة، أم لعشرة أولاد وبنات كانت المجاهدة عائشة تساعد في تخبئة المجاهدين عند محاولة الاستعمار البحث عنهم خاصة في فترة ما بين العصر حتى الفجر بالتمحيص المعمق إلا أن النسوة بفضل حنكتهم كانوا يخبئون المجاهدين

[16]– تمت المقابلة مع المجاهدة عائشة بوطبة يوم 15 جوان 2021م، في بيتها الكائن بحي البطحة بمتليلي.

[17]– المجاهد قدور زرقاط: زوج المجاهدة عائشة الذي ساعد المجاهدين وسبل نفسه ولما كان في طريقة بشاحنته محملا بالسلعة في طريقه فحجز عليه وأحرقت الشاحنة بما فيها وسجن لمدة سنة ونصف ولما عاد كان لا يملك شيئا.

في البئر تحت الأرض وتغطية السطح من فوق ويتركون فراغا للتهوية وتتريل المئونة وتجهيزهم للصعود في الفجر للجبل عند مغادرة المستعمر، كان النسوة يعملون جاهدين لمساعدة المجاهدين من تأمين السلاح والرصاص حتى السكاكين وغسل ملابسهم، وهبت المجاهدة عائشة نفسها لخدمة الثوار والمجاهدين كما أنها تعتبر من عائلة ثورية مجيدة فهي شقيقة الشهيد البطل عمر بوطبة وشقيقة المجاهدين الفذين الشيخ بوطبة[18] ومسعود بوطبة[19].

ثالثا- دور ومهام مجاهدات المنطقة في نصرة الوطن ورفع راية " الله أكبر الجزائر لنا حرّة مُستقلة":

لا شك أن للمرأة في هذه المنطقة الفضل الأكبر في نصرة أخيها الرجل المرابط على قمم الجبل، فنجدها تتقلد مهام الفدائية والمسبلة والمناضلة حينا، ومهام التموين و التطبيب والتوعية حينا آخر، وهو ما يعكس بذرة الخير وروح التضامن في السراء والضراء التي تربى عليها المجتمع الجزائري على مر العصور ، فبالعودة للرواية الشفوية التي مثلت بدورها أحد منابر إحياء أدب المقاومة الوطنية الجزائرية نجد أن المرأة قد كان لها دور فعال في الجهاد من خلال المهام الموكلة لها فعملت

[18]- المجاهد الشيخ بوطبة: (ولد سنة 1924م، وتوفي في 12/14/ 2019م) الذي يعد من أكبر مجاهدي المنطقة الذي زود المجاهدين بالسلاح والمؤونة وحتى الإبل الذي يعد كوسيلة نقل للمجاهدين، سجن بوهران لمدة عام ونصف ، ومما رواه لي، أنه كان رفقة إخوانه المجاهدين قد عاشوا ظروفا جد صعبة أثناء أدائهم لمهمتهم الجهادية في الصحراء القاسية، حيث اضطروا مرارا لشرب مياه البرك الملوثة بجثث الدواب المنحلة بالدود، وذات مرة ضيق عليه الفرنسيون الخناق بعد معركة دامية ، تمكن فيها من جمع أسلحة العدو ، وألقى بنفسه بين صخور هاوية، كي لا يتمكنوا من الإمساك به، وبقي فيها أياما لا يقوى على الحركة بسبب الكسور البليغة في رجليه، مما كلفه إعاقة جسدية بقية حياته.

[19]- المجاهد مسعود بوطبة: (ولد سنة 1912م، وتوفي في 2019/12/11م) الذي دعم وجاهد لسنوات في الجبل مع الثوار وغاب عن أهله مدة ثلاث سنوات رفقة إخوانه المجاهدين، لا يتمكنون من النزول إلى المنطقة بسبب البحث المستمر عنهم.

كمسبلة وفدائية من خلال إخفائها للمجاهدين وتأمين عبورهم وعبور أسلحتهم وحمل العتاد إليهم وحفظ الوثائق السرية لتسليمها إلى مسؤوليها وغيرها من الأعمال الشاقة وذلك بغض النظر عن نقاط التفتيش المكثفة والمنتشرة عبر أماكن مختلفة في المنطقة.

عملت المرأة على صعود الجبال ودوس الشوك والحجر رغبة في تزويد المجاهدين بما يكفيهم من زاد ولباس فقد كانت تقوم بطهو الطعام ليلا ونهارا فيأكل المجاهدون المختفون في بيوتهن وترسل حصة المجاهدين المرابطين في الجبال، وغالبا ما كانت تمتهن الأعمال الشاقة الأخرى كالنسيج وجمع الحطب وطحن القمح وعجن الخبز وتحضير الكسرة لجمع مستلزمات ما يحتاجه الرجل المجاهد، وهو ما يُعبر عن تعلق المرأة الصحراوية المتين وعن تضحيتها الشجاعة في سبيل حريتها واستقلال بلادها فكان العمل المترلي صورة أخرى للكفاح بحق الكلمة.

فالمرأة الصحراوية بالجنوب الجزائري عانت الكثير والكثير وهيهات لهذه الكلمة أن تكشف ذلك الواقع الأليم والمُر، فضلا عن الظروف القاسية والاضطهاد الذي كان يلحق بها، حيث كان للطبيعة تأثير بالغ على حياتها، فندرة الماء وحرارة الطقس صيفا وبرودته شتاء والمسالك الوعرة والبراري القاحلة كلها عوامل عانت منها المرأة أثناء دعمها لزوجها وابنها وأخيها لاسترجاع الحرية، لكنها تحدت ذلك وكلها صبر وعزيمة، وقامت بأعمال شتى، مُكللة ذلك باستقبالها للمجاهدين بالفرح والابتهاج عند وصولهم إلى مقر سكنها ، فبمجرد وصولهم كانت تستقبلهم بحفاوة كبيرة وبأصناف المأكولات التي يشتهونها و منها لا الحصر: الكسكس المفتول، اللحم ، الكسرة، الشاي، اللّبن، حليب الماعز، فيأكلون ويشربون، وتعد لهم العدة التي قوامها (المأكل والمشرب واللّباس) ليأخذوه لبقية المجاهدين في الجبال.

لم تكن المرأة بالمنطقة في معزل عن الثورة منذ أيامها الأولى، فقد كانت جندية مجاهدة وأسندت إليها مهام نظامية حسب مستواها وما تتطلبه الظروف في هذه

النواحي، فحملت عبء العائلة والأولاد، بعد التحاق زوجها أو أبنائها بصفوف الثورة، أو عند اعتقالهم من طرف الاستعمار، كما تحملت الأهوال المسلطة عليها ليلا ونهارا، وكان بيتها في المدينة أو البادية مأوى للفدائيين والمجاهدين عند تأدية مهامهم، تقوم بكل ما هم في حاجة إليه من إعداد طعامهم وحراستهم وتزويدهم بالمعلومات الضرورية حول تحركات العدو وتنقلاته وكشف الخونة وجمع الاشتراكات والتبرعات وتأمين سرهم ووثائقهم.

كُلفت المرأة في منطقة غرداية كغيرها من نساء الوطن بمجموعة من المهام ومنها لا الحصر[20]:

- القيام بشؤون الأسرة والأولاد.
- تموين المجاهدين بما يحتاجونه من غذاء ولباس وتمويل...إلخ.
- نيابة الرجل في شؤون الفلاحة والرعي.
- إعانة أبناء المجاهدين المرابطين في الجبال والتكفل بعائلات وأسر المعتقلين والسُجناء.
- غسل ملابس المجاهدين وخياطتها وجمع أصنافها من البيوت والمجتمعات النسوية.
- تأمين الأسلحة والوثائق السرية وتخبئة المجاهدين في أماكن آمنة.
- تقمصها لدور المنكر لحقائق المجاهدين، فلا عين رأت ولا أذن سمعت.
- شاركت في عمليات الكشف عن الخونة والعملاء من أبناء المنطقة ولو كانوا من ذوي القرابة.

[20]- عبد الحليم، المرجع السابق، ص 227.

الخاتمة:

خلصت المداخلة إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

– لعبت المرأة المكافحة في الجنوب الشرقي الجزائري أدوارا عسكرية وأخرى اجتماعية عكست بدورها الروح الجهادية التي تربت عليها البنت الريفية في هذه المنطقة، فوضعت يدها فوق يد الرجل نصرة للوطن والمجاهدين.

– بالرغم من كل الممارسات الاستعمارية الرامية إلى طمس الشخصية الوطنية والقضاء على مقومات شعبنا وتاريخنا، ورغم حالة القهر والاستبداد والتعتيم الفرنسي، نجد أن المرأة الصحراوية لم تنس دورها الأول والأساسي في المحافظة على أسرتها من التفكك فعوضت غياب الرجل المجاهد أو المعتقل لتصبح بدورها الأم والأب والمجاهدة في نفس الوقت.

– كان الجهاد يسري في عروق ودماء المرأة الصحراوية وهو ما تعكسه نشاطاتها المختلفة التي تقلدتها فلم تجاهد في بيتها فقط بل تعدى الأمر ذلك إلى أن ذاقت الويل والعناء فخرجت تجاهد وتحارب المستعمر بشخصية قوية قوامها أنه لا فرق بين الرجل والمرأة مادام هدفنا واحد وعدونا واحد، وهو ما جعلها تتعرض للبطش والسجن.

– قدمت لنا النماذج المعروضة لمجاهداتنا الباسلات دليلا ملموسا وصورة عظيمة لتضحية المرأة الصحراوية في سبيل حب الوطن والذود عن البلاد بوضع الكف على الكف من أجل نيل الاستقلال والتعطش للحرية، فتحيا الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

– قدمت الورقة البحثية نماذج فقط من سير مجاهدات المنطقة المغوارات، لكن صفحات الجهاد الصحراوي طويلة والأسماء عديدة لا تقل أهمية عما تقدم، لهذا سيبقى الأهم هو الاهتمام بمثل تلك الشخصيات التاريخية الفذة على اعتبار أن أقوالهن هي مرآة لعصر عصيب لم نعشه ، وما يدمي الفؤاد ويُحزن النفس أن معظم شبابنا ومثقفينا ما سمعوا قط بأسماء هؤلاء المجاهدات الجسورات على الرغم من

مقاومتهن وبسالتهن ليُتوج الأمر في نهاية المطاف برفضهن لمرتبهن الشهري الذي تخصصه لهم الدولة وهو ما يعكس حقا عفوية وإخلاص جهادهن في سبيل الوطن، لذلك سيبقى ملف مجاهدات المنطقة مفتوحا وصور جهادهن حاضرة في الأذهان لا تمحى لا بالتقادم ولا بالنسيان.

مراجع المقال:

-المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: تسجيل الشهادات الحية لمجاهدي ولاية غرداية، من إعداد الفرقة التقنية لملحقة المتحف الوطني للمجاهد، حصيلة الشهادات(2003-2008م).

- المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: بطاقة فنية حول الشهيد أحمد بيشي.

- المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: بطاقة فنية حول الشهيد عمر بوطبة.

المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي: مقابلة مع الشيخ بوطبة في بيته بحي شعبة سيدي الشيخ بمتليلي.

-مقابلة مع المجاهدة عائشة بوطبة يوم 15 جوان 2021م، في بيتها الكائن بحي البطحة بمتليلي.

-رواية شفوية لعبد الله بيشي يوم 2000/02/06م.

-عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م